

الفصل في الملل والأهواء والنحل

بلفظ يفهم السائل منه مراد نفسه ويفهم المسؤول مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح والجواب عنه لازم ومن أجاب عنه بأن هذا سؤال فاسد وأنه محال فإنما هو جاهل بالجواب منقطع متسلل عنه وأما السؤال الذي يفسد بعضه بعضا وينقص آخره أوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسأل عنه وما لم يسأل عنه فلا يلزم عنه جواب على مثله فهاتان قضيتان جامعتان وكافيتان في هذا المعنى لا يشد عنهما شيء منه إلا أنه لا بد من جواب بيان حوالته لا على تحقيقه ولا على تشككه ولا على توهمه وباﻻ تعالى التوفيق .

ثم نحد المسؤول عنه في هذا الباب بحد جامع بحول اﻻ تعالى وقوته فيرتفع الأشكال في هذه المسألة إن شاء اﻻ تعالى فنقول وباﻻ تعالى التوفيق وبه نتأيد إن الشيء المسؤول عنه في هذا الباب إن كان إنما سأل السائل عن القدرة على إحداث فعل مبتدأ أو على إعدام فعل مبتدأ فالمسؤول عنه مقدور عليه ولا تحاشى شيئا والسؤال صحيح والجواب عنه بنعم لازم وإن كان المسؤول عنه ما لا ابتداء له فالسؤال عن تغييره أو إحداثه أو عدامه سؤال متفاسد لا يمكن السائل عنه فهم معنى سؤاله ولا تحقيق سؤاله وما كان هكذا لا يلزم الجواب عنه على تحقيقه ولا على تشككه لأن الجواب عن التشكل لا يكون إلا عن سؤال وليس ها هنا سؤال أصلا ثم نقول وباﻻ تعالى نتأيد إن من الواجب أن نبين بحول اﻻ تعالى وقوته ما المحال وعلى أي معنى تقع هذه اللفظة وعمادا يعبر بها عنه فإن من قام بشيء ولم يعرف تحقيق معناه فهو في غمرات من الجهل فنقول وباﻻ تعالى نتأيد أن المحال ينقسم أربعة أقسام لا خامس لها أحدها محال بالإضافة والثاني محال في الوجود والثالث محال فيما بيننا في بنية العقل عندنا والرابع محال مطلق فالمحال بالإضافة مثل نبات اللحية لابن ثلاث سنين وإحباله إمراة وكلام الأبله الغبي في دقائق المنطق وصوغه الشعر العجيب وما أشبه هذا فهذه المعاني موجودة في العالم ممن هي ممكنة منه ممتنعة من غيرهم وأما المحال في الوجود فكا انقلاب الجماد حيوانا والحيوان جمادا أو حيوانا آخر وكنطق الحجر واختراع الأجسام وما أشبه هذا فإن هذا كله ليس ممكنا عندنا البتة ولا موجودا ولكنه متوهم في العقل متشكل في النفس كيف كان يكون لو كان وبهذين القسمين تأتي الأنبياء عليهم السلام في معجزاتهم الدالة على صدقهم في النبوة وأما المحال فيما بيننا في بنية العقل فكون المرء قائما قاعدا معا في حين واحد وكسؤال السائل هل يقدر اﻻ تعالى علي أن يجعل المرء قاعدا لا قاعدا معا وسائر ما لا يتشكل في العقل فيما يقع فيه التأثير لو أمكن فيما دون الباري D فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها أيقدر اﻻ تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم معروف وجهه يلزم الجواب عنه بنعم إن

اﻟﻘﺎدر ﻋﻠﻰ ﺫﻟﻚ ﻛﻠﻪ ﺇﻻ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺤﺎﻝ ﻓﻲ ﺑﻨﻴﺔ ﺍﻟﻌﻘﻞ ﻓﻴﻤﺎ ﺑﻴﻨﻨﺎ ﻻ ﻳﻜﻮﻥ ﺍﻟﺒﺘﺔ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ
ﺍﻟﻌﺎﻟﻢ ﻻ ﻣﻌﺠﺰﺓ ﻟﻨﺒﻲ ﻭﻻ ﺑﻐﻴﺮ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﺒﺘﺔ ﻫﺬﺍ ﻭﺍﻗﻊ ﻓﻲ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺑﺎﻟﺰﻭﺭﺓ ﻭﻻ ﻳﺒﻌﺪ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ
اﻟﻌﺎﻟﻢ ﻳﻔﻌﻞ ﻫﺬﺍ ﻓﻲ ﻋﺎﻟﻢ ﻟﻪ ﺁﺧﺮ ﻭﺃﻣﺎ ﺍﻟﻤﺤﺎﻝ ﺍﻟﻤﻄﻠﻖ ﻓﻬﻮ ﻛﻞ ﺳﻮﺍﻝ ﺃﻭﺟﺐ ﻋﻠﻲ ﺫﺍﺕ ﺍﻟﺒﺎﺭﻯ
ﺗﻐﻴﻴﺮﺍ ﻓﻬﺬﺍ ﻫﻮ ﺍﻟﻤﺤﺎﻝ ﻟﻌﻴﻨﻪ ﺍﻟﺬﻯ ﻳﻨﻘﻀﺐ ﺑﻌﺰﻩ ﺑﻌﺰﺍ ﻭﻳﻔﺴﺪ ﺁﺧﺮﻩ ﺃﻭﻟﻪ ﻭﻫﺬﺍ ﺍﻟﻨﻮﻉ ﻟﻢ ﻳﺰﻝ
ﻣﺤﺎﻻ ﻓﻲ ﻋﻠﻢ اﻟﻌﺎﻟﻢ ﻭﻻ ﻫﻮ ﻣﻤﻜﻦ ﻓﻬﻤﻪ ﻻ ﺣﺪ ﻭﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻫﻜﺬﺍ ﻓﻠﻴﺲ ﺳﻮﺍﻻ ﻭﻻ ﺳﺂﻝ ﺳﺂﻟﻪ ﻋﻦ
ﻣﻌﻨﻰ ﺃﺼﻼ ﻭﺇﺫﺍ ﻟﻢ ﻳﺴﺂﻝ ﻓﻼ ﻳﻘﺘﻀﻲ ﺟﻮﺍﺑﺎ ﻋﻠﻲ ﺗﺤﻘﻴﻘﻪ ﺃﻭ ﺗﻮﻫﻤﻪ ﻟﻜﻦ ﻳﻘﺘﻀﻲ ﺟﻮﺍﺑﺎ ﺑﻨﻌﻢ ﺃﻭ ﻻ
ﻟﺌﺎ ﻳﻨﺴﺐ ﺑﺬﻟﻚ ﺇﻟﻰ ﻭﺻﻘﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﻌﺪﻡ ﺍﻟﻘﺪﺭﺓ ﺍﻟﺬﻯ ﻫﻮ ﺍﻟﻌﺰﺯ ﺑﻮﺟﻪ ﺃﺼﻼ ﻭﺇﻥ ﻛﻨﺎ ﻣﻮﻗﻨﻴﻦ
ﺑﺰﻭﺭﺓ ﺍﻟﻌﻘﻞ ﺑﺂﻥ اﻟﻌﺎﻟﻢ ﻟﻢ ﻳﻔﻌﻠﻪ